مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٣: ٩–١٧)

يا إخوةُ إنَّا نحن عاملونَ مع اللهِ وأنتم حَرْثُ اللهِ وبناءُ اللهِ* أنا بحسَبِ نِعمةِ اللهِ المُعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ وضَعتُ الأساسَ وآخرُ يبني عليه. فليَنظُرْ كُلُّ واحدٍ كيف يبني عليه* إذ لا يستطيعُ أحدٌ أن يضعَ أساساً غيرَ الموضوعِ وهو يسوعُ المسيح* فإن كان أحدٌ يبني على هذا الأساسِ ذهَباً أو فِضَّةً أو حِجارةً ثمينةً أو خَشباً أو حَشيشاً أو تبناً* فإنَّ عملَ كُلِّ واحدٍ سيكونُ بيِّناً لأنَّ يومَ الربِّ سيُظهِرُهُ لأنَّه يُعلَنُ بالنارِ وستَمتَحِنُ النارُ عملَ كُلِّ واحدٍ ما هو* فمَن بَقِيَ عمَلُهُ الذي بناهُ على الأساسِ فسينالُ أُجرَةً* ومَن احتَرَقَ عمَلُهُ فسيخسَرُ وسيَخلُصُ هو ولكن كمن يَمُرُّ في النار* أما تعلَمون أنَّكم هيكَلُ اللهِ وأنَّ روحَ اللهِ ساكِنٌ فيكم* مَن يُفسِدُ

حول الرسالة

«لأنّه متى قال واحدٌ أنا لبولُسَ وآخرُ أنا لأبُلُّوسَ أفلستم جسديينَ»؟ (١ كور ٣:٤). السبب المباشر الذي حدا بالرسول بولس إلى كتابة الكلمات التي تُتلى على مسامعنا، اليوم، من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس هو، إذاً، شقاق حاصل في كنيسة الكورنثيين مردّه أنّ بعضهم يتحزّب لهذا الرسول وبعضهم يتحزّب لذاك، ولا سيّما لبولس أو أبلّوس. ونعرف عن أبلّوس أنّه كان يهودياً اسكندرانياً متضلّعاً من الكتب المقدّسة (أع ١٨:٢٤)، وأنّه، بعد قبوله إنجيل يسوع المسيح، مارس دوراً بشارياً في كنيسة كورنثوس. واللافت أنّ بولس لا ينحى باللائمة على أبلّوس ولا يعتبره مسؤولاً عمّا هو حاصل في كورنثوس من شقاقات، بل ينظر إلى عمله هناك على نحو إيجابي ويعتبره مكمّلاً لعمله هو: «أنا غرستُ وأبُلُّوسُ سقى لكنَّ اللهَ كان يُنمّي» (١كور ٣:٦)، حتى أنّه يشير صراحةً، على مشارف نهاية الرسالة، إلى أنّه استحث أبلّوس على معاودة زيارته إلى كنيسة كورنثوس (١كور١٦:١٢).

الفكرة الرئيسية التي يودّ بولس نقلها إلى المؤمنين في كورنثوس قوامها أنّ ما هو عليه اليوم من إيمان بيسوع وتغيّر في السيرة إنّما يقوم على مبادرة الله نفسه، لا على الجهود الشخصية التي قام بها هو أو أبُلّوس. طبعاً، بولس لا يرمي إلى نكران هذه الجهود، بل يعترف بوجودها: «والغارسُ والساقي هما واحدٌ ولكنَّ كلَّ واحدٍ سيأخذُ أُجْرَتَهُ بحسَبِ تعَبِه» (١ كور ٣:٨). غير أنّ بيت القصيد هو أنّ الغرس والسقي يؤولان إلى العدم، ما لم يعمل الله نفسه على تنمية الزرع. وهذا هو الأهمّ! الله هو العامل الفعليّ، أما بولس وأبلّوس فيعملان «مع» الله (١ كور ٣:٩)، أي أنّهما يقومان بعمل الله ذاته، وذلك بمقتضى الوظيفة التي ارتضى الله أن ينيطها بخدّامه: «فمَن هو بولسُ ومَن هو أبُلُّوسُ؟ خادمان آمنتم بواسِطتهما، وكما أعطى الربُّ لكُلِّ واحِدٍ» (١ كور ٣:٥). لكنّ البناء، أي كنيسة كورنثوس، إنما هو بناء الله، والحقل حقله، والفلاحة فلاحته. تعدّد الصور التي يلجأ إليها بولس، هنا، سواء استخدم صورة البناء أو صورة

العدد ٢٠٠٨/٣٣

الأحد ١٧ آب

تذكار القديس الشهيد ميرُن

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر التاسع

هيكلَ اللهِ يُفسِدهُ اللهُ لأنَّ هيكلَ اللهِ مُقدَّسٌ وهو أنتم.

الإنجيل

(متى ١٤: ٢٢–٣٤)

في ذلك الزمان اضطَرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموعَ* ولمَّا صرفَ الجموعَ صعِدَ وحدَهُ إلى الجبلِ ليصلّي. ولمَّا كان المساءُ كان هناك وحدَهُ* وكانتِ السفينةُ في وسَط البحر تكُدُّها الأمواجُ لأنَّ الريحَ كانت مُضادَّةً لها* وعند الهَجعةِ الرابعةِ من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر* فلمَّا رآهُ التلاميذُ ماشياً على البحر اضطربوا وقالوا إنَّهُ خَيالٌ ومن الخوفِ صرخوا* فللوقتِ كلَّمهم يسوعُ قائلاً ثِقوا أنا هو لا تخافوا* فأجابه بطرسُ قائلاً يا ربُّ إنْ كنت أنت هو فمُرْني أن آتيَ إليك على المياه* فقال تعالَ. فنزل بطرسُ من السفينة ومشى على المياه آتياً إلى يسوع* فلمَّا رأى شِدَّةَ الريحِ خافَ وإذ بدأ يغرَقُ صاح قائلاً يا ربُّ نجّني. وللوقتِ مدَّ يسوعُ يدَه وأمسك به وقال

الحقل، وكلاهما مستمدٌ من العهد القديم (راجع مثلاً إش ٥: ١– ٢)، لا يغيِّر شيئاً في جوهر الفكرة التي يعبّر عنها، وفحواها التشديد على مركزيّة دور الله حيال الإيمان الحاصل في كورنثوس.

إلاّ أنّ بولس، رغم نظره بعين الإيجاب إلى الجهد الذي بذله أبلّوس في كنيسة كورنثوس، لا يشكّ في فرادة دوره كرسول. ودور الرسول هو، بكلّ بساطة، أن يضع أساس البناء، أي أن يكرز باسم يسوع: «لأنَّ المسيحَ لم يُرسِلني لأُعمِّدَ بل لأبشِّر» (١ كور ١:١٧). أمّا دور أبلّوس فيقوم بالبنيان على هذا الأساس: «وضعتُ الأساسَ وآخرُ يبني عليه» (١ كور ٣:١٠). ولعلّ هذا الدور كان يشتمل على الوعظ والتعليم والإرشاد وتشديد الإخوة، وذلك انطلاقاً من الكتب المقدّسة، أي كتب العهد القديم، التي كان أبلّوس مقتدراً فيها، كما نقرأ في كتاب أعمال الرسل (١٨:٢٤). عملية الوعظ والتعليم والإرشاد هذه، بصرف النظر عمّن يقوم بها، ربما تنحرف عن الخط الذي رسمه الرسول. بكلمات أخرى، قد تفسَّر الكتب المقدسة على نحو لا ينسجم مع مركزيّة يسوع التي يمتاز بها الإنجيل المنقول على يد الرسل. من هنا، نفهم تحذير بولس أنّ على من يبني أن يكون متيقّظاً ومنتبهاً إلى نوعيّة البناء الذي يضعه. فمن الضروري أن يأتي هذا البناء متوافقاً وطبيعة الأساس، أي يسوع المسيح.

على هذا المستوى، يستنجد بولس بصورة أخرى ليبيِّن إمكان التعدّد في نوعيّة هذا البناء الذي يضعه العَمَلة في حقل الرب. فبعضهم يبني ذهباً، وبعضهم فضّةً، وبعضهم حجارةً كريمةً، وبعضهم خشباً، وبعضهم حشيشاً، وبعضهم تبناً (١ كور ٣:١٢). بولس لا يساوره ريب، إذاً، في أن ليس كل العملة يتساوون في نوعية البناء الذي يرفعونه على الأساس. لكنه، رغم الصورة التي يستعملها والتي توحي بشيء من التراتبية – فالذهب مثلاً، أفضل من الفضة – يعرف أن الكلمة الفصل هي للرب الذي، في اليوم الأخير، سيلفظ الحكم على نوعية العمل الذي أدّاه الفَعَلة في حقله، وذلك بعدما يُمتحن هذا العمل بالنار: «فإن عَمَلَ كلِّ واحدٍ سيكون بيِّناً لأنَّ يومَ الربِّ سيُظهِرُه. لأنه يُعلَنُ بالنارِ وستَمْتَحِنُ النارُ عملَ كلِّ واحدٍ ما هو» (١ كور ٣: ١٣). صورة النار تشير إلى دينونة الرب في اليوم الأخير. ونرى، في إنجيل لوقا، أن يوحنا المعمدان يستنجد بالصورة ذاتها للتعبير عن مدى جدّية الله في دينونته: «فكلُّ شجرةٍ لا تصنَعُ ثمرًا جيداً تُقْطَعُ وتُلقى في النارِ» (لو ٣:٩).

هل يخلص العامل، بفعل إيمانه ومعموديّته، أو بفعل نواياه الحسنة، رغم رداءة العمل الذي قام به؟ هذا ما يستنتجه بعض المفسّرين من قول الرسول: «ومن احترقَ عمَلُهُ فسيخسَرُ وسيخلُصُ هو ولكن كمن يمرُّ في النار» (١ كور ٣: ١٥). والحق أنّ هذه الآية شكّلت، على مرّ العصور، لغزاً لشرّاح الكتاب المقدس، وقد اختلفت الآراء اختلافاً جمًّا في كيفيّة تفسيرها. لكنّ المؤكّد أنّ النص لا ينطوي على أيّ قرينة تبرّر القول بأنّ المقصود بالنار، هنا، هو المطهر، كما ذهب إليه التفسير العقائديّ التقليديّ في الكنيسة الكاثوليكية. أما القديس يوحنا الذهبي الفم فيعتبر أنّ قول

له يا قليلَ الإيمان لماذا شككتَ* ولمّا دخلا السفينةَ سكنَتِ الريحُ* فجاء الذين كانوا في السفينةِ وسجدوا له قائلين بالحقيقةِ أنت ابنُ الله* ولمّا عبَروا جاءوا إلى أرض جَنّيسارَتْ.

تأمل

«أما تعلمون أنكم هيكل الله».

ان المسيحيين الذين يريدون أن يحيوا في الواقع حياة مسيحية يعبرون فوراً كل تجربة للخطيئة ويقتلعون من نفوسهم كل جذور الشر ويحفظون قلوبهم نقية كهيكلٍ ومسكنٍ للرب لأنهم يعرفون ان كل بيت مقدس يجب أن يبقى نظيفاً خالياً من كل دنس، مهما كان طفيفاً. كذلك لا يجوز أن يمس أواني الهيكل غير الكهنة ولا أن تستعمل في أمور معاشية أو أمورٍ غير مشروعة. ونفس المسيحي المكرسة لله هي أسمى من الأواني المقدسة. لا يدخل إليها الذين يبيعون ويشترون والصيارفة والعشارون، أي كل شيء بطال خاطئ. لأنه إذا كنا ملزمين بالمحافظة على نقاوة الهيكل ونظافته

الرسول بـ«خلاص» من بنى بناءً رديئاً إنّما هو من باب السخرية، بمعنى أنّ الرسول يقصد العكس تماماً، أي هلاك البنّاء. استعمال السخرية، على هذا النحو، محتمل، طبعاً، وذلك بالنظر إلى قواعد الخطابة اليونانية، التي يلجأ إليها الرسول بولس، هنا وهناك. والملاحظ أن الآيات اللاحقة ربما تؤيّد رأي الذهبي الفم هذا. إذ ليس فيها حديث عن خلاص من بنى بناءً رديئاً، بل عن أنّ الله سيفسده: «أمَا تعلمون أنكم هيكلُ اللهِ وأنّ روحَ اللهِ ساكِنٌ فيكم، مَن يُفسِدُ هيكلَ اللهِ يُفسِده الله» (١ كور ٣: ١٦– ١٧). ولكن، إذا كان ما رمى إليه الرسول هو ضرب من ضروب السخرية، كما يرى الذهبي الفم، فالأكيد أنّ هذا ليس واضحاً بما فيه الكفاية بالنسبة إلى القارئ العادي. المهم، في نهاية المطاف، أنّ صعوبة هذه الآية لا تمسّ وضوح النبرة الأساسية في هذا المقطع، وهي التشديد، أولاً، على مركزيّة المبادرة الإلهية في إنشاء الإيمانِ وبناء الكنيسة، وحثّ العَمَلَة، ثانياً، على أن يأتي عملهم في مستوى الأساس الذي وضعه الرسل، أي يسوع المسيح. ولعلّ في هذه النبرة عبرةٌ كبيرة لكلّ من يعمل اليوم في حقل الرب، كائناً ما كان الدور الذي يضطلع به.

صموئيل النبي

«الذين بالإيمانِ قهروا ممالِكَ، صنعوا برًّا نالوا مواعيدَ، سَدُّوا أفواهَ أسودٍ، أطفأوا قوَّةَ النارِ، نجَوا من حدِّ السيفِ، تقوَّوا من ضعفٍ، صاروا أشدَّاءَ في الحربِ، هَزَموا جيوشَ غُرباءَ...» (عب ١١: ٣٣–٣٤).

بهذه الكلمات يمتدح كاتب الرسالة إلى العبرانيين بعض رجالات العهد القديم بمن فيهم صموئيل الذي نعيِّد له في الكنيسة في العشرين من آب، والذي تصوِّره أقدم التقاليد رجلاً فهيماً وممتلئاً حكمة، والذي لعب في حياته دوراً حاسماً في تأسيس الملكية في إسرائيل، فكان القاضي والنبي والكاهن والرئيس وقائد الجيش.

صموئيل اسم عبري معناه «اسم الله أو اسمه إيل»، ويرجِّح المؤرخون ولادته سنة ١١٣٢ قبل المسيح. كان أبوه القانة لاوياً من عشيرة قهات ومن الذين سكنوا مع سبط افرايم في قرية الرامة، وكانت له امرأتان فننّة وحنة (١ صمو ١: ٢). لم يكن لحنة أولاد، فصلّت إلى الله ونذرت نذراً للرب إن منحها ابناً «فإني أُعطيه للربِّ كلَّ أيامِ حياتِهِ ولا يعلو رأسه موسى» (١ صمو ١١:١). استجاب الله لدعائها وولدت ابناً سمّته صموئيل. وكان بعدما فطمته انها أخذته إلى مقدس الرب في شيلوه، حيث كان تابوت العهد قبل بناء هيكل أورشليم، ليعيش هناك ويتربى على يد عالي الكاهن (١ صمو ١: ١٩– ٢٨). أحبه عالي كأحد أولاده وأعدَّه أحسن إعداد ليأخذ مكانه في الكهنوت. «وكان صموئيل يخدم أمام الربِّ وهو صبيٌّ متمنطِقٌ بأَفودٍ من كتَّانٍ» (١ صمو ٢: ١٨)، وهو الثوب الذي كان يلبسه الكهنة العاديون أو عامة الشعب أثناء خدمة الهيكل.

بقي صموئيل مع عالي إلى حين موت عالي بعد سماعه خبر استيلاء الفلسطينيين على تابوت العهد، وكان عمر صموئيل إثنين وثلاثين

كهيكل للرب فبالأحرى أن نحافظ على نقاوة نفوسنا كمؤمنين.

ما أثقل الخطيئة، خطيئة تدنيس النفس، هذا الهيكل الإلهي الحي! ندرك ثقلها من الطريقة التي جابه بها المخلّص الذين دنّسوا الهيكل. لم يستعمل الرب التعليم والنصح بل استعمل الغضب الإلهي والسوط. أراد أن يعلّم، بهذه المعاملة القاسية، لا عن قداسة الهيكل فقط الذي يدنّسه تجار محتَقَرون ومستغِلّون ويدوسونه، بل عمّا هو فوق ذلك، أراد أن يعلّم عن قداسة هيكلنا الحي، عن نفسنا، وإلى أي حد يجب أن يبقى المؤمن نقياً في هدوئه الروحي بعيداً عن ضجيج العالم والخطيئة. ان الهوى مخيف، أن تصبح الخطيئة هدارة في أعماق النفس. نحتاج إلى ألمٍ مقدس وقوة روحية وانتباه يقظ، وكذلك إلى يدِ الله القدير لنبعد الاضطراب والضجيج النفسي الذي تسبّبه الخطيئة في داخلنا، في هذا الهيكل الإلهي.

القديس نقولا كاباسيلاس

عاماً. طوال هذه المدة كان صموئيل يعيش في الهيكل وينام في غرفة متصلة به ويفتح أبوابه في الصباح ويساعد عالي في الخدمة. ويُقال انه كان في الثانية عشرة من عمره عندما أعلن له الرب انه يقضي على بيت عالي «من أجلِ الشرِّ الذي يعلَمُ أنَّ بنيهِ (حفني وفنحاس) قد أوجَبوا به اللعنةَ على أنفسهم ولم يردعهم» (١ صمو ٣:١٣).

صحيح ان همّ صموئيل كقاضي ومسؤول عن الشعب العبراني أن يدافع عنهم ويهيّئهم لمحاربة الفلسطينيين لرد الإعتبار كون الفلسطينيين كانوا قد استولوا لفترة قصيرة على تابوت العهد، إلا انه وعى ان الله هو الذي يحمي وإن لم يعد الشعب إلى الله في قلبه وعقله وكيانه فلا معنى لأي انتصار حربي ولا معنى لوجوده. لذا أخذ صموئيل على عاتقه طِيلة عشرين عاماً تقويم الشعب روحياً وإصلاحهم داخلياً ليقود بعدها بني جنسه نحو النهضة والتحرير: «وناحَ كُلُّ بيتِ إسرائيلَ وراء الربِّ. وكلَّمَ صموئيلُ كلَّ بيتِ إسرائيلَ قائلاً إن كنتم بكُلِّ قُلوبِكم راجعينَ إلى الربِّ فانزِعوا الآلهةَ الغريبةَ والعشتاروتَ مِن وَسْطِكم وأعِدُّوا قلوبَكم للربِّ واعبُدوهُ وحدَهُ فيُنقِذُكم من يدِ الفلسطينيينَ. فنزَعَ بنو إسرائيلَ البعليمَ والعشتاروتَ وعبَدوا الربَّ وحدَهُ» (١صمو ٧: ٣–٤).

بعد التوبة ونزع الأصنام جمعهم في المصفاة، «فأصلّي لأجلِكم إلى الربِّ» (١ صمو ٧:٥). هناك صاموا وصلّوا واستقوا ماءً وسكبوه أمام الرب متعهدين أن لا يرجعوا إلى آثامهم وخطاياهم. وفيما هم مجتمعون أتى الفلسطينيون لمحاربتهم. رفع صموئيل الصلاة إلى الله وقدّم حملاً رضيعاً وأصعده محرقة إلى الله دليل التسليم الكلّي والخضوع التام للمشيئة الإلهية. ولما تقدَّم الفلسطينيون أرعدت السماء ونزلت عليهم الصواعق، ليعلم الجميع ان النجاة والنصرة من الله وليس نتيجة عمل بشري. وبنى صموئيل هناك نصباً «دعا اسمَهُ حَجَرَ المعونةِ وقال إلى هنا أعانَنا الربُّ» (١ صمو ٧: ١٢).

وبقي صموئيل طيلة أيام حياته يقضي لإسرائيل، ويجول كل سنة في بيت ايل والجبال والمصفاة، ولكنه كان مقيماً في الرامة حيث بنى مذبحاً للرب. شاخ صموئيل فأقام ابنيه قاضيين في بئر سبع (١ صمو ٨: ١–٢)، لكنهما لم يكونا جديرين بثقة والدهما لأنهما «أخذا رشوةً وعَوَّجا القضاءَ» (١ صمو ٨: ٣). لذا ونزولاً عند رغبة الشعب مسح شاول ملكاً ليهتم بشؤون الناس. ولما حاد شاول بعد فترة عن وصايا الله، أمر الله صموئيل بأن يمسح داود ملِكاً بدل شاول (١ صمو ١٦). ومات صموئيل بعد ان خدم الشعب أربعاً وخمسين سنة، وهو في السادسة والثمانين من عمره، لما كان داود هارباً من وجه شاول في برية عين جدي، ودُفن في بيته في الرامة بعد أن ندبه جميع بني إسرائيل (١ صمو ٢٥: ١). وقد كان طيلة حياته نموذجاً للنقاوة والطاعة والوداعة والصبر والإيمان والشجاعة والاتكال على الله. فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb